



## آفاق التجديد في علم الكلام

هناك رؤية<sup>(١)</sup> تؤمن بأن التجديد في علم الكلام هو بتحويل الجهد الكلامي إلى مؤسسة أو مؤسسة علم الكلام، وذلك من خلال الاهتمام بمجموعة أمورٍ من قبيل تشكيل مؤسسات ولجان لتصحيح التراث الكلامي

---

(١) أكبر قنبري، مجلة نقد ونظر، العدد ٩ : ٢ - ٩،

وأخراجه من المكتبات القديمة ومن عالم المخطوطات وتحقيق هذه الكتب وطباعتها طباعةً عصرية، وكذلك إقامة المؤتمرات الدورية والملتقيات والمنتديات التي تعنى بالفكر الكلامي، وتأسيس مكتباتٍ كلامية متخصصة تتوفر فيها جميع المصادر والمراجع الكلامية القديمة والحديثة، وكذلك تأسيس بنوكٍ معلوماتيةٍ كلامية تسهل على الباحثين المادة الكلامية، وتحويل علم الكلام إلى عالم الانترنت والكمبيوتر ونحوها، وبالإضافة إلى ذلك كله الاهتمام بالإصدارات الكلامية المتخصصة من مجلاتٍ ونشریات ودوريات، وكذلك تهيئة معاجم مفهرسة ومعاجم مصطلحات ودائرة معارف وموسوعة، كما تجدر الإشارة هنا إلى دور مراكز الترجمة التي تنقل الفكر الآخر كما تعرف الآخر بالفكر الكلامي الإسلامي .. وهكذا - وسيما على المستوى الجوزوي - من الضروري تأسيس مراكز تعليمية تتخذ الكلام مادة أساسية، وتلحق بها ما صار يلاصقها من علومٍ ومعارفٍ أخرى، كعلم المعرفة والنفس والهرمنوطيقا والأسنوية والاجتماع وتاريخ العلوم والأسطورة .. وغير ذلك من المشاريع والبرامج الكثيرة.

هذه الرؤية موجودة لدى الكثيرين اليوم، سواء صرّحوا بذلك في كتابات أو لا، فهي رؤية يعيشها الكثير من الذين يحملون الهمم الفكري على الصعيد الديني عموماً.

ومع القبول الكامل بهذا المشروع الكبير، والذي توجد نشاطات واسعة اليوم وموفقة إلى حدٍ كبير تتحرك في إطاره، إلا أن الذي ينبغي ملاحظته هو أن التجدد والتغير الذي حصل يستدعي إصلاحاتٍ كبيرة وعميقة في العقل الكلامي نفسه، فالملاحظ أن التجدد الذي حصل كان على أكثر من مستوى وعلى أكثر من صعيد، مما يمكن إيجازه هنا:

١ - تجدد المسائل؛ فإن قسماً كبيراً من مسائل علم الكلام لم يعد له اليوم وجود، بمعنى أنه لم يعد يشكل القضية التي تشغل اهتمام الباحثين والمفكرين، بل إن بعض الأفكار والأدلة والرؤى صار بطلانها اليوم غير محتاج إلى توجيهٍ وتفسير، نظراً إلى انهيار كل الأعمدة التي انبنت عليها تلك الأفكار

عبر الزمن، بل إن مذاهب ومدارس كلامية بأكملها صار حالها كذلك، وهذا أمر طبيعي ومتروك، وفي مقابل ذلك كله، ظهرت أفكار جديدة ومذاهب كلامية جديدة، قد يصح لنا أن نقول: إنها أكثر بكثير مما ذهب وتحنى عن حلبة الصراع، وهذه الاتجاهات لم تستخدم نفس آليات البحث التي كان يتم الاعتماد عليها سابقاً، بل استقت لنفسها أنماط تفكيرٍ أخرى، وهذا تحول جذري وأساسي في مساحات العمل وأفق التفكير الطارئة على علم الكلام.

٢ - تجدد المبادئ، بمعنى أن كثيراً من دراسات علم المعرفة والوجود، وكذلك العلوم الإنسانية والطبيعية والأبحاث الرياضية قد تبدلت وتغيرت من أساسها، من هنا؛ فإن بقعة كبيرة من اهتمامات وأدلة ونقاشات المتكلمين صارت بلا معنى في ظل التحولات العلمية العظيمة، وهذا نحو مهم من أنحاء التجدد الحاصل.

٣ - تجدد المنهج، وهو أهم أنواع التجدد؛ فقد كان المنهج المتبع سابقاً في علم الكلام - وأشرنا ونشير إلى ذلك لاحقاً - هو المنهج الجدلي القائم على القضايا المسلمة والمشهورة لدى الطرفين، ثم حصل تطور في زمن نصير الدين الطوسي وفخر الدين الرازي، تم على إثره حصول التزاوج بين الفلسفة والكلام بعد قرونٍ من التخاصم.

أما اليوم ففضلاً عن أن الفلسفة نفسها قد خضعت لتحولات بنيوية - مع الأخذ بعين الاعتبار التحولات العالمية لها - فإن العلوم الأخرى قد تعرضت هي الأخرى أيضاً لانتقالات منهجية، بل صار المنهج نفسه عرضة للنقد والتحليل أيضاً، وهذا كله يستدعي موقفاً عملياً من الكلام المعاصر تجاهه.

فالمسألة هي مسألة العقل الكلامي بالدرجة الأولى، والتحولات الموجودة تستدعي تطوير هذا العقل بصورة أساسية.

٤ - التجدد في الهندسة المعرفية كما يركز على تسميتها الدكتور أحد قراملكي، الباحث الإيراني المختص، فالتغييرات التي تعرضت العلوم لها لم تكن محصورة في نطاق المسائل والمنهج والمبادئ، بل تعدتها لتشمل مجموع هذه الأمور، أي وصل التحول إلى مرحلة أشبه بالكلية والشاملة، فصارت بنية

العلم هي المتحوّلة والمعدّلة، وهذا أيضاً واقع يُطالب علم الكلام بتقديم أجوبةٍ عملية لنفسه عنه.

من هنا - وبملاحظة ما سيأتي أيضاً - فإنّ التجديد في علم الكلام أو علم الكلام الجديد، هو من العمق والسعة بمكانٍ لا تقي به مجرد بناء المؤسسات بالشكل المتقدم وإن كانت لازمة له. إنّ التعديلات المنصبة على العقل المتحكم في علم ما من أهمّ التعديلات الجوهرية في أي علم من العلوم؛ لأنّ التعديلات الأخرى كافة إنما تمثل تطويرات جانبية إذا ما قيست برتبة العقل العلمي نفسه، والتعديل المتوجه إلى العقل العلمي يمكنه - بدرجة أكبر - أن يمنح المفكر نمط معالجة مختلف وأسلوباً تحليلياً آخر وخطاً منهجياً جديداً وأفقاً أكثر سعة ورحابة، والأفق والمنهج والمدى أمور لا تتعلق بالكم المعرفي بقدر ما تتعلق بالمستوى العلمي نفسه.

### عرض موجز لتاريخ علم الكلام الجديد / سيرورة التجديد الكلامي المنهجي

تعود بذور التفكير الكلامي الجديد على الساحة الإسلامية إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي إلى زمن شروع التحديات الفكرية والثقافية الغربية التي رافقت الاستعمار الغربي الفرنسي والبريطاني للعالم الإسلامي. وقد كان للمستشرقين دور فاعل في تكوين هذا الجو العام نتيجة الانتقادات الحادة التي وجهوها إلى مرافق الفكر الإسلامي كافة لا سيما السنة النبوية الشريفة. وقد انبرى جيل من العلماء في تلك الفترة لمواجهة هذا الواقع الفكري المرفوض في الوسط الديني، وكان أبرز هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني في رده على الدهريين، وجاء بعد ذلك جيل آخر تمثل بالشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم؛ فسجلوا أبحاثاً هامة على هذا الصعيد، إلى أن وصل الحال إلى أمثال العلامة الطباطبائي وتلميذه الشهيد مرتضى مطهري، وإلى الدكتور علي شريعتي، وسيد قطب، والسيد محمد باقر الصدر، ومالك بن نبي وغيرهم؛ فأغنوا علم الكلام بالكثير من الدراسات والأبحاث القيمة مع